

إضاءات نقدية (مقالة محكمة)

السنة الثانية عشرة - العدد السابع والأربعون - خريف ١٤٠١ش / أيلول ٢٠٢٢م

20.1001.1.22516573.2022.12.47.5.1

صص ١٣٨ - ١١٥

## دراسة ملامح الغروتيسك في رواية "التجوّل في أرض الغرباء" بقلم أحمد دهقان

زهرا مطيعي\*

فاطمة حيدري (الكاتبة المسؤولة)\*\*

### الملخص

الغروتيسك (المزاح بالألم) مصطلح فني - أدبي يقوم من خلاله الكتاب والفنانون بخلق مشاعر غير متجانسة ومتناقضة في نفس الوقت لإظهار كل ما هو غريب ومتناقض وغير مألوف في الوسط العام لدى المتلقي. بالنظر إلى الخصائص غير المنتظمة وغير المتجانسة، مثل التناقض والرعب والسخرية والمبالغة والغرائبية، يخلق الكاتب شعوراً غريباً على حدود الضحك والخوف والاستياء، وروح الدعابة في هذا العالم المضطرب الخالي من الفرح وعلى الرغم من أنه يسعى إلى رسم الابتسامة على الشفاه، إلا أن المرارة سيشعر بها المتلقي بعد تلقيه الموضوع. يقوم البحث الحالي معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي بدراسة ملامح الغروتيسك في رواية "التجوّل في أرض الغرباء" بقلم أحمد دهقان. في هذه الرواية الواقعية، يتم سرد جزء من عمليات فترة الدفاع المقدس (الحرب العراقية الإيرانية) في أرض العراق بعين ناقدة وقد ابتكر الكاتب ملامح غروتيسكية باستخدام عناصر اللهجة والحوار وتوظيف التشبيهات والاستعارات في ظل الحرب وظروفها - التي تحتوي على مشاهد وأحداث مفاجئة - وصور أحداثاً مريرة من هذا المنطلق.

الكلمات الدلالية: أدب الدفاع المقدس، التجوّل في أرض الغرباء، الغروتيسك، الواقعية، الفكاهة.

\*. طالبة دكتوراه في اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران  
\*\*. أستاذة مشاركة في قسم اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران  
fateme\_heydari10@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٤٤٣/١٠/٠٦هـ

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٦/٢٣هـ

## المقدمة

يستخدم الكتاب والفنانون أساليب مختلفة للتعبير عن المفاهيم التي يرغبون فيها؛ يمكن اعتبار الغروتيسك أى "المزاح بالألم" إحدى هذه الطرق. شق الغروتيسك طريقه من الرسم إلى الأدب فى فرنسا فى القرن السادس عشر. لوحات جدارية تُظهر مزيجاً من الإنسان والحيوان والنباتات والمخلوقات الخيالية. مع دخول هذا الفن إلى مجال الأدب، اهتم الكتاب به كأداة ووسيلة لخلق أعمال من قبل القارئ تمنحه فرصة أكثر للتفكير، وأدى إلى خلق شخصيات مثيرة للشفقة ولكن نظراً لظروف الكاتب وإبداعه، لم يكن تركيز الغروتيسك على الشخصية فحسب بل أصبح أداة للتعبير عن الأحداث المريرة والمروعة بقلم فكاهاى أيضاً.

ويتم وصف المشهد أو القصة بطريقة غريبة (غروتيسكية) حيث توضع الموضوعات المتباينة والمتناقضة معاً بطريقة غير معتادة، مما يخلق إحساساً متضارباً ومقرفاً ومثيراً للاستياء لدى المتلقى؛ شعور ممزوج بالخوف والضحك، والقيح والمضحك، ويضع القارئ على حدود الضحك والانزعاج فى نفس الوقت، بينما يظهر غرابة وعبثية العالم، كما يذكرنا بالطبيعة الكوميديّة والمأساوية للحياة.

بعد التغييرات فى المجتمع والحوادث المؤسفة مثل الحروب والكوارث وما شابه ذلك، خلقت بعض الأعمال فرصة للكتاب لظهور الغروتيسك، جنباً إلى جنب المشاعر الداخلية للشخص، كما أن الفكاهة والمزحة توفر أيضاً مزيداً من الأرضية لظهور الغروتيسك وتقديم رسالة للقارئ.

فى مجال الدفاع المقدس، تناول أحمد دهقان فى كتابه "التجول فى أرض الغرباء"، على عكس الأعمال الأخرى فى هذا المجال الذى يتعامل مع الجوانب الروحية لجهة الحرب، تناول الحرب العراقية الإيرانية التى استمر لثمانى سنوات، من منظور مختلف. تحتوى هذه الرواية على أحداث الحرب المكشوفة. واستخدم الكاتب بوعى أو بغير وعى، الغروتيسك (المزاح بالألم) فى أجزاء من الرواية، وفكاهته هى أداة لتصوير ظروف الشخصيات الصعبة فى الرواية. يتم استخدام الدعاية والمزاح فى الرواية

لتقوية روح الشخصيات لجعل الجو سعيداً؛ لكن الألم وشدة الحزن تظل مرارتهما في مذاق القارئ إلى جانب هذه الدعابات؛ لأن الجو الممزوج بالخوف والرعب الذي سببته الحرب والبرد السائد في المنطقة يسودان على المزحات بمرات. في هذا العمل، يتم تصوير قصة أخرى عن تضحية القوات المناضلة في عملية جرت في منطقة ماوت بالعراق.

### أسئلة البحث

١. ما هي عناصر الغروتيسك في رواية "التجول في أرض الغرباء"؟
٢. ما هو تأثير الفضاء والنبرة في خلق الغروتيسك في الرواية؟
٣. ما علاقة الغروتيسك بالفكاهة والواقعية في الرواية؟

### فرضيات البحث

١. يمكن رؤية ملامح ومشاهد غروتيسكية في رواية "التجول في أرض الغرباء".
٢. تلعب الظروف (الجو السائد) واللهجة دوراً فعالاً في خلق الغروتيسك في الرواية.
٣. الفكاهة والاستياء الموجودان في الغروتيسك مقتبسان من الحقائق التي حدثت في الحرب ويخلقان شعوراً غير متجانس في نفوس المتلقين.

### خلفية البحث

تم نشر العديد من المقالات في مجال الغروتيسك، ومنها:  
- مقال بعنوان «عناصر غروتيسك ومدرن گرایسی در رمان شازده احتجاب گلشیری» (عناصر الغروتيسك والحادثة في رواية الأمير احتجاب لـ هوشنك گلشیری)، (١٤٠٠ش) من تأليف السيد إسماعيل قافلهباشي وفرشته حسيني، ونشر في فصلية رقم ٣٨ من دراسات اللغة والأدب الغنائي. تناول فيه المؤلفون الغروتيسك في قصة الأمير احتجاب بالاعتماد على ثلاثة عناصر هي الرمز والموقف والشخصية.  
مقال «بررسی جلوه‌های گروتسک در آثار بهرام صادقی و اوژن یونسکو» (دراسة

المظاهر الغروتيسكية في أعمال بهرام صادقي وأوجين يونسكو (١٣٩٨ش) بقلم على رضا أسدي وعلى رضا شوهاني وفاطمة إسماعيلي نيا ونشر في المجلة الفصلية لأبحاث الأدب الروائي بجامعة الرازي. وقد وجد المؤلفون في هذا العمل، أثناء تقديمهم للعناصر الغروتيسكية وخصائصها، من خلال تحليل أعمال أوجين يونسكو وبهرام صادقي، العديد من المظاهر المتعلقة بعناصر الغروتيسك وذكروا أن هذين الكاتبين قد نظرا بوعي وإدراك في التعبير عن العناصر الغروتيسكية في أعمالهما.

مقال بعنوان «بررسی عناصر گروتسک در رمان خوف اثر شیوا ارسطویی بر اساس نظریات میخائیل باختین، فیلیپ تامسون وولفگانگ کایزر» (دراسة العناصر الغروتيسكية في رواية الخوف لشيوا أرسطوي بناءً على نظريات ميخائيل باختين وفيليب طومسون وفولفغانغ كايزر) (٢٠١٧)، بقلم سعيدة جاور وناصر علي زاده، والذي نشر في العدد ٢٣٧ من دورية اللغة الفارسية وآدابها بجامعة تبريز. في هذه المقالة، قام المؤلفان في تلك الرواية بتحليل العناصر الغروتيسكية مثل التشويه (المسخ)، والجانب الرمزي، وتباين الجوانب الهزلية والمأساوية، والسلوكية غير السوية، وخلق شخصيات خيالية بخصائص شيطانية، وما إلى ذلك، واعتبراها عملاً جديداً في مجال الأدب الإيراني. وفي مقال «تبيين گروتسک در عزاداران بیل» (شرح الغروتيسك في عزاء بيل) (١٣٩٦ش)، بقلم عبد الله مير علي حسن زاده ونيلوفر أنصاري، نشر في مجلة رخسار زبان، العدد ٣، قام المؤلفون، بالبحث عن عناصر الغروتيسك، ومؤلف الرواية جعل كباقي أعماله مشاكل مجتمعه الاجتماعية والسياسية، موضوعاً لهذه الرواية واستخدم الغروتيسك كوسيلة للنظر إلى العالم والإنسان وكل صفاته الحسنة والسيئة.

مقال «بچه های قالیباف خانه اثر هوشنگ مرادی کرمانی» (دراسة وتحليل العناصر الغروتيسكية في قصة أطفال حياكة السجاد لهوشنگ مرادي کرمانی) (١٣٩١ش)، بقلم علي صفائي وحسين أدهمي، والذي تم تقديمه في ملتقى الدراسات الأدبية بجامعة شهيد بهشتي. وتناول دراسة العناصر الغروتيسكية للرواية وعلاقتها بالمدرسة الطبيعية والفكاهة. مقال «تلفیق احساسات ناهمگون ومتضاد گروتسک در طنز و مطایبه» (المزج بين المشاعر الغروتيسكية المتباينة والمتناقضة في السخرية والفكاهة) (١٣٩١ش) بقلم

فاطمة تسليم جهرمي ويحي طالبان؛ تم نشره في العدد الأول من مجلة الفنون الأدبية في أصفهان. تناول فيه المؤلفان موضوعات غروتيسكية في السخرية والفكاهة، وبالنظر إلى أحد الفروع الغروتيسكية في السخرية والفكاهة، أي ما يسمى بـ (الكاريكاتور أي الكاريكاتور بالكلمات)، وبعد دراسة خصائص الكاريكاتورية لبروز شاپور، وجدوا أنها تحتوي على عنصرين من التناقض والمبالغة.

وتعتبر رواية "التجول في أرض الغرباء" من الأعمال التي تمت دراستها في مجال أدب المقاومة. والتي تشمل:

مقال (ثمن العثور على شخص في ساحة الحرب: نظرة على رواية التجول في أرض الغرباء) (١٣٨٩ش) لفرحان علي زاده؛ تم نشره في كتاب ماه ادبيات.

مقال بعنوان «بازنمود پديده اجتماعي جنگ در رمان پرسه در خاک غريبه براساس روش تحقيق كيفي - نظريه مبنایي» (تجلی الظاهرة الاجتماعية للحرب في رواية "التجول في أرض الغرباء" على أساس منهج الدراسة النوعية - النظرية الأساسية) (١٣٩٢ش) لفريده داوودي مقدم ومنصورة شاه محمد ميراب، فصلية الأدب الروائي في جامعة الرازي.

مقال بعنوان «بررسی ناتورالیسم در ادبیات داستانی جنگ» (دراسة الطبيعة في أدب الحرب الروائي) (١٣٩٧ش)، بقلم مهدي خادمي كولاى ونسيم حسن بور إيلابى، مجلة أدب المقاومة بجامعة کرمان.

مقال بعنوان «سبک شناسی لایه ای داستان پرسه در خاک غريبه احمد دهقان» (أسلوبيات الطبقات في رواية التجول في أرض الغرباء لأحمد دهقان) (١٣٩٨ش) بقلم منوتشهر أكبرى وعمران صادقى، مجلة أدب المقاومة بجامعة کرمان. كما يبدو أن هذه الرواية لم يتم دراستها من منظور الغروتيسكية.

### منهج البحث

اعتمد البحث في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي. ومن خلال تعريف الغروتيسك تمت دراسة العناصر الغروتيسكية وعلاقتها بالفكاهة والواقعية، في رواية

"التجول في أرض الغرباء".

### الغروتيسكية وخصائصها

ترجمت لفظة الغروتيسك باللغة الفارسية على أنها «السخافة، الشىء المضحك، الإحراج، الغرابة، الأمر الذى لا يصدق، وغير المعقول، العجيب والغريب، الخيالى، غير المؤلف، غير المتناسق، وغير المتوازن.» (ثابت قدم، ١٣٨٣ش: ٢٠١) تخلق الغرابة والتناقض وعدم الاتساق إحساساً مزدوجاً ومختلفاً لدى المتلقى، كما أن وجود السخرية والرعب جنباً إلى جنب يترك شعوراً غريباً فى النفس. «الغريب فى علم الأدب، أو فى لغة الفن، يشير إلى الإنتاج الذى يصور التنافر، والتناقض، وعدم التجانس، والسخرية فى العالم الواقعى الذى هو خارج التصور، أو تدمير العالم وشره وعبثيته.» (المصدر نفسه: ٢٠٢) يسود هذا الأسلوب عادة فى المجتمعات التى تتمثل سماتها الرئيسة فى الصراع أو النزاع، التغيير والالتباس. (انظر: طومسون، ١٣٩٠ش: ١٤)

إن الشعور بالتناقض والغرابة عند قراءة عمل غروتيسكى، هو أهم تأثير يحدث للقارئ فى الوهولة الأولى. والفكاهة والضحك فى الغروتيسك لا يقترنان بالفرح والسعادة أبداً؛ بل إنهما يثيران نوعاً من الخوف والرعب والاستياء والقرف لدى القارئ. يمكن العثور على أمثلة عديدة لهذا النوع من المشاعر فى كتاب المسخ لكافكا. إن تحول الإنسان إلى حشرة كبيرة، بأفكار بشرية ورهبة غير إنسانية، يخلق نوعاً من الصراع العاطفى فى نفوس المتلقين. التخيل لم يجعل رواية كافكا فكاهية ومضحكة. بل إنها أوجدت الخوف والرعب فى العقل اللاواعى، مما قد يشكل تهديداً لذهول الشخص وجهله. إن الغروتيسك تبدو مختلفة فى نظر كل من إيوا كوريلوك<sup>١</sup>، جيفرى جالت هارفام<sup>٢</sup>، ميخائيل باختين<sup>٣</sup> وولفغانغ كايزر<sup>٤</sup>. ويعتبر كل من باختين وقبصر من أعظم المنظرين فى هذا المجال. فى كتابه "غروتيسك فى الفن والأدب" بعد الحرب العالمية الثانية،

1. Oakuriluk
2. Jeffrey Galt Harfam
3. Mikhail Bakhtin
4. Wolfgang Kaiser

ركز كايزر اهتمامه على الأدب الألماني والفرنسي والفني كتعبير رومانسي في تعريف الغروتيسك. فهو يعتقد أن الغروتيسك هو عالم غريب ويبدو أنه تعبير عن قوة غير مفهومة وغير شخصية. غروتيسك هي لعبة مع سخافات وخلقتها هو محاولة لاستدعاء وإخضاع الأبعاد الشريرة في العالم. (آدامز بيتس، ١٣٩٨ش: ٣٣-٤١)

لكن الغروتيسك له معنى أكثر إيجابية في رأى باختين، على عكس كايزر، فإنه يرى الغروتيسك يتعلق بالضحك والكوميديا ويحاول «إخراج الغروتيسك من قلوب الكرنفالات الشعبية والصاخبة وينظر إلى هذه الكرنفالات على أنها النظام الحاكم؛ النظام الذى كل شىء فيه يسير بالضحك والنكات والاستهزاء، على عكس النظام الحاكم. حيث يضع الناس أقنعة وصوراً غريبة أو مضحكة أو مخيفة على وجوههم وتظهر فى أكثر الصور عرياً وبدائية.» (شربتندار وأنصارى، ١٣٩١ش: ١١٢)

فى المصادر المكتوبة عن الغروتيسك، لم يتم ذكر تأثير المحفزات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى الغروتيسك بوضوح. على الرغم من أن الغروتيسك نشأ فى العالم الغربى، إلا أنه يجب القول، يختلف هذ الصنف عن هيكلها الغربى فى الأدب الفارسى كالعديد من المدارس الغربية. «لقد شهد معظم الكتّاب والشعراء الذين تناولوا الغروتيسك فى أعمالهم بشكل مباشر أو غير مباشر، تغييرات وتطورات اجتماعية، ووقائع وأحداثاً اجتماعية أو تاريخية مؤسفة مثل الكوارث والأزمات والحروب والقتل وما إلى ذلك، أو تأثروا بهذه التيارات.» (تسليم جهرمى وطالبيان، ١٣٩٠ش: ٤)

يمكن للأحداث المريرة والبارزة مثل النزاعات والصراعات والحروب التى تتميز بطبيعة الحال بأجواء ومشاهد مؤلمة ومرعبة، أن تخلق جواً غروتيسكياً بشعاً فى القصة من خلال إضافة شعور متناقض. وعادة يتجاوز ذلك كونه شعوراً غريباً، فيحفز تفكير القارئ ويجعله يبحث عن السبب. لذلك، يخلق الكاتب أحياناً عن غير قصد أجواء ومشاهد غروتيسكية. (انظر: طومسون، ١٣٩٠ش: ٨٠)

### رواية "التجول في أرض الغرباء"

تدور أحداث الرواية حول القوات الإيرانية التى تم إرسالها لتنفيذ عمليات من

الجنوب إلى غرب البلاد لإنقاذ أشخاص هاجمتهم قوات صدام بمساعدة القوات الكردية العراقية. الجو بارد جداً. يتم وضع القوات في مجموعات صغيرة تحت إمرة قادتها؛ ومن أجل التغطية على العملية، يتم وضعهم في قطار مع عدد من الحيوانات والمواشى لنقل الإمدادات والمعدات من محطة مهجورة. جمال هو قائد المجموعة التي يتواجد فيها عبد الله وإبراهيم وزكريا وبهرام. عبد الله، هو الشخصية الرئيسية في الرواية، يهرب أحياناً من ذكرياته ويذكر حبه السابق شيرين وهي مطربة في أحد الملاهي. بعد الثورة وبدء الحرب جاء إلى الجبهة لينسى شيرين. لهذا السبب، هناك فرق بينه وبين المحاربين الآخرين.

بعد الوصول إلى المكان والاستيلاء على الحيوانات لنقل الحمولات إلى منطقة العمليات، ستتوجه القوات المعنية إلى مدينة ماوت بالعراق. استشهد العديد من الجنود بعد هجمات العدو. فقطع الرؤوس ورمى الجثث على الأشجار وقتل الحيوانات، يخلق مشاهد مفرجة ومروعة. في ظل الصراع المحتدم بين المقاتلين الإيرانيين والقوات العراقية، وصل اللاجئون الأكراد المطلوبون والملاحقون لعدة أيام من قبل قوات الحرس العراقي إلى المضيق وتم إرسالهم إلى خلف الجبهة بمساعدة القوات الإيرانية.

في وسط السهل، قرية صغيرة ذات عدد قليل من السكان تعيش مع شيخهم ومرشد لهم ورغم الظروف القاسية والاعتداءات الشديدة، فهم لا يغادرون قريتهم. يستقطب الرجل العجوز قوى كثيرة بأقواله وسلوكه النبوي، لدرجة أنه بعد عودة القوات واستبدال القوى الجديدة، يعود عبد الله الذي تغير وتلاشى حبه لشيرين؛ إلى القرية لإقناع الرجل العجوز والقرويين بمغادرة المنطقة؛ لكنه يرى من أعلى الوادي أن المنطقة تعرضت للقصف بالقنابل الكيماوية وأن السهل والقرية الصغيرة تحتفیان تحت الغبار.

### ملاحم الغروتيسك في رواية "التجول في أرض الغرباء"

الجنوح والكوميديا والرعب: إن خلق إحساس بالتناقض، هو أحد أبرز سمات الغروتيسك. ويعدّ الضحك والخوف من بين المشاعر المتضاربة التي تنتج عند قراءة قصة غروتيسكية. «الكتاب الذين كتبوا عن الغروتيسك، ربطوه دائماً بالهزل أو

الرعب. هناك من يرون الغروتيسك أنه شكل فرعى من الكوميديا، فهم في هذه الحالة يصنفونه ضمن المهزأة المبتذلة أو البورلسك<sup>١</sup>، وآخرون يؤكدون على الجانب المروع للغروتيسك، فهم في هذه الحالة غالباً ما يجرونه إلى عالم مجهول وغامض، وحتى الخارق للطبيعة. بطبيعة الحال، هناك العديد من النقاط بين هذين القطبين، ولكن باستثناء بعض الموارد في الفترات المبكرة، فإن رؤية الغروتيسك كظاهرة تجمع كلاً من الكوميديا والرعب في مزيج معقد، هو اتجاه جديد نسبياً. «(طومسون، ١٣٩٠ش: ٢٥) أحد ملامح الغروتيسك، هو التشوه من الناحيتين الجسدية والنفسية. التناقض في الغروتيسك، هو نوع من الجنوح أو الشذوذ الذي يظهر معه الصراع والمشاعر غير المتجانسة. في كتاب "الغروتيسك"، يناقش طومسون التشوه الجسدي بالإشارة إلى رواية مسخ لكافكا وحالة جريجور فيها، ويشير إلى أن «الغروتيسك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتشوه الجسدي.» (المرجع نفسه: ١٢) طريقة استخدام الغروتيسك في رواية "التجول في أرض الغرباء" مرتبطة بالمكان والزمان والسرد والأحداث التي وقعت فيها. يعود مبدأ الحرب إلى أسباب نفسية. مما يؤدي إلى بدء الحرب من قبل الجانب المعادي ويوفر الظروف لمهاجمة وغزو دولة أخرى. تجلب الحرب الخوف والرعب، حتى أن كلمة "الحرب" وحدها تخلق صورة مريرة في المستمع. لكن الكاتب في بعض مشاهد رواية "التجول في أرض الغرباء"، يصور للقارئ مشاهد مزعجة ومخيفة يمزجها بتشبيهات مضحكة. وما يمكن رؤيته وراء هذه النبرة السخيفة والسرد، ليس طبيعتها الهزلية والممتعة، وإنما الكاتب لجأ إلى هذا الأسلوب ليصور "الموت" و"المشاهد المؤلمة" لأشخاص أتوا لإنقاذ أرواح زملائهم في أرض غريبة. خلق دهقان شعوراً كوميدياً في الأجواء المرعبة التي سببها قصف العدو المتواصل من خلال تسمية الحيوانات التي تحمل الذخائر وتوصيفها بـ آق ماشال وصاحب الساق السوداء. «آق ماشال الذي شعر بالموت، وقف للحظة وتهدنح وصاحب الساق السوداء الذي كان إلى جانبه

١. البورلسك (المهزأة) يعنى المزاح والسخرية والمحاكاة الساخرة. وهو عمل أدبي ميزته المبالغة السخيفة. يتم تقديم أسلوب نبيل أو موضوع جاد بشكل سخيف، أو يتم التعبير عن المشاعر الحقيقية بشكل مبالغ فيه ومثير للاستياء، والعكس صحيح.

صرّ أذنيه للاستماع. لم يتوقف أق ماشال. ألقى صندوق الذخائر على الأرض وهرب. ورأى بقية البغال تجرى خلفه ... بدأ قصف الطائرة يدور مثل آلة الخياطة. تشبث الحشد على الأرض ... كان الحشد خائفاً، وبمجرد أن أراد أن يتنفس الصعداء، نزلت الطائرة الثانية من أعلى الوادي. عبد الله الذي لم يتحرك من مكانه كفزاعة الحقل، فجأة رأى إطلاق قذائف من تحت الطائرة، كان لديه ساقان، واستعار ساقين وركض ... قال ضابط المشتريات الطويل: كان قد سقط في وسط الثلج - على بعد سبعة أو ثمانية أمتار من الخيام المشتعلة - ورفرف مثل الدجاجة المذبوحة. «دهقان، ١٣٩٣ش: ٧٦) وفي تعبيره عن صعوبات العملية، يعبر دهقان عن الرعب الذي أحدثته تلك العمليات بطريقة كوميدية وهكذا يؤثر على مشاعر القارئ.

بهذا الوصف، ألا يؤدي الانعكاس الهزلي والمضحك لمشاهد الحرب بلغة وتصوير جديدين، إلى الانتقال من اليأس والخوف إلى واقع الحياة والموت؟ اليأس والإحباط والخوف من الأمور المنبوذة والمنهى عنها في المعتقدات الدينية: "وَلَا تَيَأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ"، ويبدو أن محاولة الكاتب، قد بُذلت للتغلب على المسائل المحرمة والمنهى عنها في الدين وخلق رد فعل يقوم على حقيقة أن الشيء المخيف يمكن تلطيفه بالفكاهة والضحك كما يمكن الشعور بالمتعة الذي ينتجه الانحراف عن القاعدة في الموقف أحياناً.

«الأضواء والمفرقات النارية الملونة في الهواء نشرت ألواناً مختلفة وجميلة في الثلج. فبدا الأمر كما لو أن الجميع قد دعوا إلى حفلة رائعة جداً.

- لو تسمعها مني، الحرب ليست سوى احتفال بالموت.
  - يا عيني على التبذير والتكلفة اللي فيها!
  - ما زال هذا التبذير مستمراً يا صاحي، دع الدف والطبل يبدأ، فحينها ستري كيف يقطف الإنسان كله كالثمرة الناضجة من أصله. (المرجع نفسه: ١٠٢)
- من أبرز المشاهد الغريبة في هذه الرواية موت الجحش وهو حمار صغير ومرح، والذي صوره الكاتب مع والديه في أجزاء من الرواية.

«كان الحمار يقف بلا حراك أسفل جبل من الثلج - في وسط الثلج.

يا بهرام، اذهب واحصل عليه، سيكون لديك واحد آخر!

كان الحشد في حال الضحك والمرح عندما ابتعد بهرام عن الطابور ... وصل وأول شيء واجهه، هو رقاقة ثلج صغير يمتد من أنف الحمار إلى الثلج المتجمد. كانت عينا الحمار مفتوحتين ولكنهما لم ترمشا ... أمر لا يصدق. كان الحمار واقفاً مجمداً! يرقد

بجوار جثتي حمارين - والده ووالدته - وسط الثلج.» (المرجع نفسه: ٢٣٦-٢٣٧)

خلقت الفكاهة في عبارة رقاقة الثلج على أنف الحمار، ووقوفه المتجمد في الثلج بجوار جثث والديه مشهداً غروستيكياً.

المبالغة والإفراط: إن المبالغة والإفراط في الغروتيسك يجعله قريباً من الخيال. (أنظر: طومسون، ١٣٩٣ش: ٢٧) كل شيء ممكن في عالم الخيال (الأناقة) وهو واضح من قبل القارئ؛ إن ابتكار العمل الغروتيسكي في الواقع مصحوب بالخيال، وعلى الكاتب أن يتجنب المبالغة في إبداعه حتى لا يدخل في فضاء الأناقة.

ما نراه في رواية "التجول في أرض الغرباء" هو حقيقة الحرب. الكاتب نفسه كان حاضراً في ساحة المعركة وشهد مثل هذه الأحداث، ولا ينوى المبالغة والمغالاة والتخيل لما حدث. لكن ما يمكن اعتباره تجاوزات للرواية، هو تعبير عن مأساة الحرب التي يعبر عنها الكاتب بالسواد، في عملية يعتقد أنها فاشلة وتجول في أرض أجنبية وهي العراق.

الرواية هي سرد للعالم الحقيقي، بعيداً عن الخيال والأوهام، وهو يصور ما حدث علانية. لقد صورت الأجساد المقطعة، والتفجيرات المتتالية، والثلج والبرد الهائل، أبعاد الرعب الغروتيسكية والنبرة الفكاهية للكاتب، صوّرت الجانب الآخر من الغروتيسك. حقيقة وجود أشخاص مختلفين مع وجهات نظر مختلفة للعالم ليست بعيدة عن وجهة نظر الكاتب. إن وصف الأشخاص ذوى السمات الحقيقية ولكن غير التقليدية في جو الحرب، يأخذ القارئ بعيداً عن رعب البيئة المحيطة للحظة.

في ظل إنشاء شخصية جمال، قائد الفرقة الذى ينوى بالإضافة إلى العمليات، إنقاذ حياة قواته، يقوم الكاتب بالجمع بين العناصر غير المتجانسة وغير المتوافقة. ويسلط

الضوء على رقبة جمال الطويلة والفضفاضة: «بهذه النظرة السوداء المحترقة والرقبة الطويلة المترنحة، كان يأتي وذهب.» (دهقان، ١٣٩٣ش: ٤١) «كانت رقبتة الطويلة رخوة فضفاضة» (المصدر نفسه: ٥٦) «أصبح جمال يعتنى بقواته أكثر من أى وقت مضى. وهو برقبته الفضفاضة، كان يأتي ويذهب باستمرار.» (المصدر نفسه: ١١٨) عادة الوصف المزوج بالفكاهة والسخرية يخفف من الرعب فى أجواء الحرب، وتُروى مشاهد العملية ببعض الأوصاف المضحكة فى ظل أجواء الخوف والرعب التى تسود المنطقة المعرّضة للقصف بكل أنواع الأسلحة ويستشهد فيها عدد من الجنود بوحشية. يصوّر الجو الغروتيسكى شعوراً سخيلاً ممزوجاً بالاستياء والرعب. نشعر بنوع من السخرية فى كلام الكاتب؛ ولكن لا يقصد الاستهزاء بجمال، وراء هذا النوع من التعابير يصف جهود وشجاعة هذا القائد الشاب. فى نهاية الرواية يستشهد القائد الشاب جمال وتحدث إحدى المشاهد المؤلمة حيث أخذ الوالد جسد ابنه إلى الجزء الخلفى من الجبهة، والده هو سيد ولى صاحب ذلك المقهى الذى كان يتردد عليه عبد الله، الشخصية الأخرى فى الرواية، قبل الثورة.

التعريب: ينشأ الغروتيسك من خلال صدمة مفاجئة. الفكاهة والسخرية وحتى الإساءة فى القول المستخدمة فيها، تخلق الدهشة والغرابية وتربك الجمهور وتغير مسار نظرتهم الطبيعية للعالم. (انظر: طومسون، ١٣٦٩ش: ١٠٠) بالغروتيسك، يمكنك تقديم وجهة نظر أخرى للقارئ، وبهذه الطريقة يمكنك مواجهته بيئة مختلفة وغير مألوفة، ومزجة تلفت المزيد من الانتباه.

إن النظرة السائدة للمجتمع فيما يتعلق بالحرب العراقية الإيرانية هى وجهة نظر مقدسة ودفاعية. دفاع الناس عن العدوان بالاعتماد على المعتقدات، أدى إلى حماية الحدود والأرض. لكن هذا المعتقد فى قصة "التجول فى أرض الغرباء" يرافقه شكل غير مألوف، يوجه ضربة غريبة على العناصر المألوفة فى معتقدات القارئ. من الممكن اعتبار التعاريف وبعض المزحات فى الرواية اغتراباً يختلف عن أجواء القصص الأخرى للدفاع المقدس والتى غالباً ما تمتاز بالروحانية.

التأثير النفسى: إن للغروتيسك تأثير فى التخلص من التأثيرات النفسية السيئة

إلى جانب خلقه التوتر في نفس الوقت. والضحك في الغروتيسك لا يأتي من أعماق القلب، بل جانبه المخيف يجعل الضحك جافاً؛ والعكس صحيح أيضاً. ورد الفعل على الاستياء الموجود ينهار أيضاً مع الجانب المضحك من الغروتيسك. (المصدر نفسه: ١٠١)

لا يمكن تجاهل التأثير النفسى للحرب في نفوس الناس العاديين والمشاركين فيها. يستخدم دهقان "آلية نزع السلاح ذات الأثر النفسى" أثناء توظيف وتسليط سلالة من الكوميديا في أجواء مرعبة، بينما يروى صورة حقيقية للحرب، ويثير القلق والخوف الناجم عن الحرب باستخدام الكلمات والذكريات والتشبيهات والاستعارات. في مشهد من الرواية، بعد القصف الصاروخي، بقي بعض الجنود تحت الجليد فاستشهدوا. «لم يخرج أى منهم حياً. شخصان فقط - وهما كانا يحملان جرحى المجموعة - رغم أنهما أصبحا كالفتح، ما زلت تعتقد أنهما على قيد الحياة. أخرجوهما من تحت الثلج بكل صعوبة ومشقة. وقد مسكا جانبي النقالة بإحكام ولم يتركاها. عبد الله وجمال وزكريا، أقدموا على فتح أصابعهما المجمدة بكل ما لديهم من قوة وأخذوا النقالة من قبضتهما. كما توقفوا عن التنفس.» (دهقان، ١٣٩٣ش: ١٣١) في وصف المشاهد المفجعة، بالإضافة إلى الاهتمام بالمهمة المتمثلة في سرد الحقائق، يحاول الكاتب أن يبعد الخوف عن القارئ.

### الغروتيسك والفضاء

احتل الغروتيسك أكبر مساحة في رواية "التجول في أرض الغرباء". «ما يمكن رؤيته في القصة الغروتيسكية الفارسية مقارنة بأداب الأمم الأخرى، هو خلق الجو والأحداث العامة التي تشكل جواً غروستيكياً في شكل قصة. في القصة الإيرانية، تؤدي جميع أحداث القصة، بما في ذلك خلق الجو والمكان وما إلى ذلك، إلى خلق جو غروستيكى.» (محمدى فشاركى وآخرون، ١٣٩٢ش: ٩٤)

أجواء الرواية هي عبارة عن الحرب والخوف، كان بهرام، وهو أحد شخصيات الرواية يتداول أحياناً الطرائف والنكات الساخرة واستعادة الذكريات في تلك

الظروف الصعبة وغير المنتظم، لرفع معنويات القوات، مما يخلق جوّاً مرحاً وفكاهياً في البرد القارس والوضع القاسى للعملية. لا شك أن الذكريات التي تُروى بمفردها وخارج فضاء هذه الرواية، تجلب الدعابة والفكاهة للقارئ؛ ولكن هذه الفكاهة تحدث فى جو ومكان الحرب المرعبين، أجواء مصحوبة بشكل طبيعى بالخوف والأحداث المرعبة، لكن محاولة بهرام لتلطيف الجو ورفع الروح المعنوية، تخلق دون وعى منهجاً غروتيسكياً. وفى مثل هذا الفضاء، يخلق دهقان صوراً مضحكة لحقائق مثيرة للاستياء ويخفى الخوف واليأس والألم والغضب الناتج فى ساحة المعركة تحت غطاء كوميدى ومضحك من التشبيهات والاستعارات يؤثر على مشاعر المتلقين.

«سقطت قذائف الهاون والمدافع على الأرض فى كل مكان. كانت السماء تضىء مرة وتنطفئ أخرى، والأرض ترتجف. انفجر أحد المدافع فى منتصف الطريق ودهس ستة أو سبعة جنود وأربعة بغال ... فبعد مشاهدة هذا الموقف، قام بعضهم بحفر الأرض المتجمدة، والتي كانت أصعب من الحديد الزهر. كان عليهم أن يموتوا ليتمكنوا من حفر قطعة من الأرض. كان بعضهم قد دفنوا أنفسهم فى الثلج، ولكن كان على بعد الطريق أحداث أخرى لم تقل رعباً عن هذه؛ كانت الكلاب تأتى وتذهب وتنبح كما لو كانت مدعوة لحضور حفل زفاف. فى هذه الأثناء عندما رأى بهرام أنه لا يستطيع أن يضحك أحداً ولو للحظة، جاء وأخذ حبل آق ماشال وسحبه قائلاً: فى هذا المكان المزدهم حيث لا يتضح بعد كم لى من الوقت حتى الموت، أريد أن أذهب وأحقق أمنيته الأخيرة فى الحياة. منذ اللحظة التي رأيت فيها آق ماشال، وقعت فى حبه» كما لو كنت قد وجدت ما فقدته ... أريدك أن تقرأ لنا عقد مؤاخاة حتى نصبح إخوان حقيقيين. انفجر شخص أو شخصان يشعان بالاستياء بالضحك ... أما الرصاصه التالية لم تمنح لأى شخص فرصة للانفجار من الضحك. سقطت قذيفة مدفعية على رأس الأرض. ولم يلبث حتى سمع صوت أنين وصراخ لم يتضح ما إذا كان صوت إنسان أم حيوان.»

يملك الغروتيسك طبيعة متنافرة وغير متجانسة وغير طبيعية يرتبط بالعوانية والاستياء والتأثير النفسى. فى رواية "التجول فى أرض الغرباء" نرى انحرافات وشذوذاً غروتيسكياً فى فضاء الرواية ومشاهدها. بعد سقوط القذائف فى المنطقة، تنشأ

مشاهد رهيبية ومؤلمة. «يا أبا الفضل .. كان بهرام هو من حدّق في شجرة البلوط القريبة منهم، تظهر عليها شخص بلا ذراعين وأرجل معلق على الأغصان وكان الدم يقطر منه. والفروع مليئة بالمعاطف الممزقة والملابس المتسخة وقطع الجثث ... رأى الله مراد الكلاب قبل كل شيء. كانت منتشرة على جانب الطريق. نظر جيداً. كانت تعلق الدماء على الأرض بجشع. وقف مرتبكاً وشعر بالغيثان. شعر بأن فمه ملئ بالماء. كان يتجشأ ويستيقئ ما أكله منذ الصباح. جاء أحد الكلاب مسرعاً وأمام عيون مراد الله، بدأ بلعق السائل الذي نثر أمامه. الدم المجد لم يكن طعمه جيداً حتى في أفواه الكلاب. فلم تمكث الكلاب طويلاً وتركت اللعق وغادرت .. لقد كانت فرحتها حقاً.» (المصدر نفسه: ١١٤)

### الغروتيسك وروح الدعابة

الفكاهة، هو الضحك على أحدهم والسخرية والتهكّم. (دهخدا: الفكاهة) يرتبط الغروتيسك بالفكاهة، بما أن الكوميديا تعدّ إحدى خصائص خلق الشعور المتضاد؛ فيمكن اعتبار العلاقة بين الفكاهة والغروتيسك مهمة ومباشرة. «يختلط الغروتيسك والهجاء معاً في علاقة ثنائية وداخلية، بحيث يصعب تحديد أى جزء من العمل هو هجاء أو غروتيسك.» (تسليم جهرمي وطالبان، ١٣٩٠ش: ٧)

من الجوانب الشائعة الأخرى للغروتيسك والفكاهة هو التغريب. في كلتا الطريقتين، محاولة في أن: «ينظر إلى العالم الملموس بشكل آخر من قبل المتلقى من أجل إثارة مشاعره تجاه الأمر المهمل. في الفكاهة، يتم هذا التغريب عبر إعطاء الحقائق والمواقف حجماً أكبر منها أو أصغر، بينما في حالة الغروتيسك، يتم هذا التغريب بطريقة مختلفة.» (صفايي وأدهمي، ٢٠١٣١٣٩١ش: ) يتحقق التغريب من خلال اختلاط المشاعر غير المتجانسة. على الرغم من أن الفكاهة والغروتيسك يرتبطان ببعضهما، لكن «الدعابة عقلانية في المقام الأول من حيث وظيفتها ومتلقيها، والغروتيسك عاطفي أساساً.» (طومسون، ١٣٩٠ش: ٥٨) يذهل الغروتيسك المتلقى أو القارئ ويشوشه، لكن الفكاهة تمنح القارئ فرصة عقلانية للتواصل مع الموضوع. في الرواية المذكورة، يتم استخدام روح الدعابة في شخصية مثل بهرام، في بعض الأحيان يجري على لسانه التعبير عن نكات

شيقة وأحياناً غير لطيفة. «الضحك الخالى من الحماس فى الغروتيسك، هو فى الواقع وسيلة للتعبير عن نقاط الضعف والقصور والتناقضات وتنبية القارئ بما هو حق وشر وفساد. ستجعلك فكاهة جوجول وتشخوف تضحك أيضاً، لكن الضحكة التى تسببها الغروتيسك على شفتيك هى ضحكة مريرة وشريرة فى نفس الوقت.» (راستى، ١٣٨٨ش: ١١٧)

يتمثل فى الكاتب فى هذه الرواية فى أنه يمكنك رؤية العالم الحقيقى من جديد من خلال الجمع بين العناصر الغريبة عن بعضها مثل الحرب، الفكاهة والمزاح. يخلق مشهداً جديداً للمعتقدات الشائعة والموجودة، وهو مشهد غريب: مضحك ومزعج. إن تقديم هذا المشهد ليس أمراً غير موق، بل هو أمر واقعى. ما يميز روح الدعابة عند دهقان، هو تعبيره عن حقيقة الحرب التى يمزجها بالسخرية والمرارة معاً، مما يجعلها قريبة من الفكاهة وإلى حد ما إلى الهزل. الفرق بين السخرية والهزل، هو أن السخرية أو الفكاهة تعدّ عملاً ولكن الهزلى يفعل ذلك فقط من أجل التلذذ والاستمتاع سواء لنفسه أو للآخرين. (دهخدا، لفظ "طنز" بمعنى الفكاهة) والكاتب يستخدم أحياناً فى الذكريات والأناشيد التى يرويها على لسان بهرام، فكاهة الموقف والتعبير "لخلق جو من المرح والدعابة وإزالة المأساة الناتجة عن ساحة المعركة. فكاهة "الموقف" هى الدعابة التى «يحاول الكاتب خلق جو روح الدعابة من خلال استبدال الشخصيات ووضعها فى مواقف غير متناسبة من حيث الزمان والمكان أو تغيير مواقفها. فى هذا النوع من فكاهة القتال والمواجهة يخلق روح الدعابة، وهذا يحدث بغض النظر عن التعبيرات والكلمات.» (قيصرى وصرفى: ١٣٨٨ش: ١١٩) فى الواقع تنشأ حالة من فكاهة "الموقف" بفضل وجود الحيوانات التى تحمل المعدات. عندما يذهب بهرام إلى الله مراد ليأخذ الحيوانات، فإنه يحاول أن يختار أفضلها وأكثرها رشاقة، وعندما يفشل، يقول مازحاً: «يا أخى»، هذان الحميران زوج وزوجة ... يبدو أن الجميع فى المجموعة أعزب، وهذا ليس بالأمر الجيد، إنه قبيح أمام هؤلاء الأطفال الصغار... إنهم يفهمون أكثر منا نحن البشر. دع الأمر ولا تهتم.. إذهب يا أخى! ماذا أفعل بكل هذه الحمير؟» (دهقان، ١٣٩٣ش: ٢٩)

بهرام شخصية بارعة ومنفتحة في الرواية، وهي أداة الكاتب لخلق فكاهة التعبير. تنشأ فكاهة "التعبير" بناءً على القدرات اللغوية. تعتبر الفنون والصناعات الأدبية مثل التورية والتلميحات والاستعارات والألعاب اللغوية أساساً لإنشاء فكاهة التعبير. (قيصري وصرفى: ١٣٨٨ش: ١١٩) يغنى بهرام العبارات المضحكة التالية لتعزيز معنويات الآخرين.

- در جبههها مولا
- پارتي فراوان است
- هرکس ندارد پارتي
- جاش در بيابان است (دهقان، ١٣٩٣ش: ١٩)
- يا سيدى فى الجبهة
- الوسطة هى كل شىء
- ومن لم تكن لديه وسطة
- فمكانه فى الصحراء

### الغروتيسك والواقعية

تستند الرواية غالباً إلى الواقع. ولا تستثنى روايات الحرب والدفاع المقدس من هذه القاعدة. هناك العديد من الكتاب الذين كانوا حاضرين في ساحة المعركة وقدموا ملاحظاتهم وذكرياتهم في شكل أدب روائى بعد انتهاء الحرب بسنوات. أحمد دهقان هو أيضاً كأحد هؤلاء الكتاب، شهد الحرب وساحة المعركة من قريب وكتب رواية بناءً على ما رآه. يعتقد بعض الأدباء، أن هذه الرواية تتبع مدرسة المذهب الطبيعي، والطبيعية هي مدرسة أدبية مشتقة من الواقعية التي كانت شائعة في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر؛ وفقاً لهذه المدرسة، فإن جميع ظواهر الوجود موجودة في الطبيعة وفي حدود المعرفة العملية والتجريبية. (انظر: داد، ١٣٩٢ش: ٤٥٦) لا ينوى الكاتب التعامل مع الجوانب والآراء الطبيعية في هذه الرواية، بل في المدرسة الطبيعية، يتم التعامل مع الحقائق بطرق خاصة.

الغروتيسك هو شكل ونوع ونظرة يستخدمها الكاتب في كتاباته، واختلافه عن الواقعية، هو دور الخيال فيه. يحاول الكاتب من خلال توظيف الغروتيسك الحفاظ على حدوده مع عالم الأناقة (الخيال) وهو أقرب إلى العالم الحقيقي ويعكس الواقع. لكن الواقعية موضوعية تصف ما تراه، ويمكن أن يشمل هذا الوصف تعبيراً عن القبح مأخوذاً من العالم الحقيقي. بما أن لدهقان حضوراً طويلاً في الحرب والمجبهة، فقد اعترف بنفسه: «حول نطاق الخيال في رواية "التجول في أرض الغرباء" على أن أقول إن هذا العمل ليس خالياً من الواقع ويمكن العثور عليه في تاريخ الحرب.» (وكالة أنباء تسنيم / ١٤٠٠ش) ما قاله دهقان مبني على الواقع. لأن المزج بين ما هو واقع وغير واقع، سمة من سمات الغروتيسك، حيث تترك رواية "التجول في أرض الغرباء" القارئ في حالة من الصدمة والرعب في نفس الوقت الذي تدفعه نحو الجانب الكوميدي.

يحاول الغروتيسك أن ينفصل عن عالم الخيال ويثبت أسس الواقعية فيه. «لا يربط هوغو الغروتيسك بالخيال بل بالواقع ويقول بوضوح إن الغروتيسك ليس مجرد أسلوب أو صنفاً فنياً، بل هو موجود في الطبيعة وفي العالم من حولنا. في كتاب، روبرت براوننج، نقل جى كى تشيسترتون الغروتيسك من عالم الفن الخيالي إلى عالم الفن الواقعي (الأنثيق) ويدعى أنه بمساعدة الغروتيسك، يمكن تقديم العالم في ضوء جديد دون أي تدخل، ومن الممكن أن يجعلنا نرى العالم (الواقعي) من جديد، ومن منظور جديد، على الرغم من أنه غريب ومؤلم، ولكنه على أي حال موثق وواقعي.» (طومسون، ١٣٩٠ش: ٢١) التضخيم والمغالاة، هي من الأسباب التي تجمع بين الغروتيسك والأناقة (الخيال). لكن عالم الغروتيسك، على الرغم من كل ما يحمله من العجائب، إلا أنه ليس بعيداً عن عالم الخيال فحسب، بل هو عبارة عن صورة للعالم المألوف والحقيقي. في الغروتيسك، إذا كان المجري العام الذي تحدث فيه القصة غير قابل للتصديق والقبول، فلا يوجد في الواقع أي غروتيسك. (انظر: جزيبي، ١٣٧٠ش: ١٠٤)

نظراً لخصائصه، يمكن أن يوفر الغروتيسك الأرضية لحقائق خفية. يعبر أحمد دهقان عن الخصائص الغروتيسكية للشخصيات على لسان شخصيات الرواية، والتي تتجلى

في شكل تشوهات سلوكية - سببها الماضي - ولا تتوافق مع أجواء الجبهة والحرب. أحد هذه الشخصيات هو عبد الله. وقع قبل الثورة في حب شيرين وهي مغنية في الملاهي، وتزامناً مع انتصار الثورة هربت شيرين مع شخص يدعى خسروه الذي كان يحبها أيضاً. يحضر عبد الله في الجبهة مع بداية الحرب لينسى شيرين، لهذا ترى مظهره وخطابه مختلفاً عن الآخرين. فهو يقتنص الفرص للخوض في الذكريات الجميلة. «وضع يده اليسرى تحت رأسه واستلقى على جنبه ... ذهب ببطء إلى الماضي، إلى الماضي البعيد، إلى أيام شارع لاله زار، عندما ذهب إلى ملهى داريوش للمرة الثانية تحديداً لرؤية شيرين.» (دهقان، ١٣٩٣ش: ٣٤) من خلال هذه الشخصية، يعبر الكاتب عن خطابات حقيقية ولكن غير تقليدية بأجواء قصص تروى عن الدفاع المقدس.

«أيها الشاب، اسمع جيداً، عليك ألا تجرى وراء امرأة أو حافلة أو قطار، في النهاية سيتم العثور على واحدة منها لتركبها!» (المصدر نفسه: ١١) أو في مكان آخر، «أيها الشاب إن الشاي والحب عندما يكونان ساخنين، يكون لهما طعم، وإلا عندما يبردان، فلا طعم لهما.» (المصدر نفسه: ٤٣) بعد دخول القوات، الأراضى العراقية لتنفيذ العملية، تدخل القوات مدينة تسمى ماوت لأخذ قسطاً من الراحة والاستقرار في منازل محددة سلفاً، تدخل قوات المجموعة الأولى منزل امرأة، وهناك تجرى محادثة بين عبد الله والمرأة. فبيئة عبد الله الماضية مؤثرة في تعبيره. عبد الله الذي لم يتوقع أن يرى صاحب منزل مديناً وسط تلك المعركة، قال وهو متعب - بلهجة من المزاح والجد-: ما شأنك والحرب يا امرأة؟!«

نظرت إليه المرأة في الظلام وقالت بحقد: الحرب مأساة مثل الكوليرا التي لا تعرف الرجال والنساء كباراً وصغاراً عندما تنتشر. الله يعلم متى تنتهي ... قال عبد الله: الحرب والنار والمرأة السيئة ثلاث مصائب عظيمة تنزل على البشر يجب تجنبها قدر المستطاع. مثل زوجك المسكين الذي غادر ورحل! .. ضحكت المرأة وقالت: «هو أيضاً مثلك يائس يجول في الجبال الثلج، ومثل كل الرجال يقتل زوجته حزناً.» (نفس المصدر: ٨٤-٨٥) إن إحباط عبد الله من ماضيه والحبيب الذي جفاه، كان له التأثير في نظرتة السلبية للمرأة.

نظراً لخصائص الغروتيسك في اتجاهه نحو الواقعية، فقد تمكن من الحفاظ على حدوده جيداً مع الخيال في رواية "التجول في أرض الغرباء"، وعلى الرغم من الخصائص الغروتيسكية في شخصيات الرواية، فإن القصة ليست بعيدة عن الواقع والغروتيسك هنا مرتبط بالواقعية. إن الغروتيسك في الرواية بعيد كل البعد عن عالم الوهم والخيال، وقد خلق الكاتب، بالنظر إلى الانحراف الموجود، الطبقات التحتية والمخفية الممزوجة بالغروتيسك بتعبير مضحك، وهو أمر لا يرضى القارئ أحياناً. في أجواء الحرب المرعبة، فإن ترك المشاعر خارج حدودها والدخول في حدود المشاعر الأخرى - حتى في العالم الحقيقي - يتطلب غروتيسكاً، وهذا التضاد الناشئ هو نتيجة الغروتيسك. «لا يعبر الغروتيسك عن التناقضات فحسب، بل يسعى للتعبير عن المعنى الثالث الذي هو دائماً بعيد عنا. ينشأ هذا المعنى الثالث من التناقض بين فكرتين و مشاعرين أو أفكار ومشاعر مألوفة.» (جزيني، ١٣٧٠ش: ١٠٣)

### الغروتيسك والصور الخيالية

في رواية "التجول في أرض الغرباء" لم تعبر التشبيهات المبنية على أجواء الحرب الرهيبة وبرودة المنطقة عن أي جمال يذكر، بل تعبر عن مأساة الحرب ومرارتها. أصبحت الأجواء مرعبة مع قصف القوات العراقية. إن الإنارة والإضاءة والألعاب النارية وتشبيه قطع رأس الشخص كالثمرة الناضجة أثناء القصف يجسد مشهداً مرعباً. في كثير من الأحيان، عادة يكون المشبه به أقوى؛ لكن في بعض التشبيهات، يقارن شيء صعب، ومؤلم، بشيء بسيط وغير مؤلم كقطف ثمرة ناضجة.

في منطقة لا يوجد فيها مكان تختبئ فيه القوات وتؤويها الثلج والبرد القارس في كل مكان، في هذه الحالة لا بد أن يعدّ إنقاذ الأرواح أمراً مهماً، إلى جانب مقاومة العدو، لذلك من الطبيعي أن يصف الكاتب المشاهد ويصور هروب الناس وحتى الحيوانات؛ لكن استخدام التشبيهات المذكورة ونبرة دعاية دهقان والتعبير عنها هي فكاهة خالية من الفرح. تتميز مشاهد الحيوانات التي تُقتل والتي تُستخدم في حمل المعدات بإحساس متباين من الرعب والكوميديا؛ على الرغم من أن الشعور بالاستياء

والخوف يسيطر على الجانب الكوميدي منه أكثر.

«آق ماشال الذى شعر بالموت، وقف للحظة وتهد ونحّر، وصاحب الساق السوداء الذى كان إلى جانبه صرّ أذنيه للاستماع. لم يتوقف آق ماشال. ألقى صندوق الذخائر على الأرض وهرب. ورأى بقية البغال تجرى خلفه ... بدأ قصف الطائرة يدور مثل آلة الخياطة.» (دهقان، ١٣٩٣ش: ٧٦)

«قال ابراهيم بصوت عال: هل نحن فعلا ذاهبون لعملية؟ أنا .... أقصد أنتى خلال هذه الفترة لم أكن فى أى عملية ولا أعرف كيف هى. أعنى ... بصراحة، لا أعرف ما هو شكل الموت ... أنظر أيها الشاب! الدنيا كراقصة ترقص لبعض الوقت أمام الجميع ثم تغادر فجأة دون أن تتوقع منها ذلك ... الموت ليس فظيماً ... بل الاحتضار مخيف.» (المصدر نفسه: ١٥-١٦) أو فى تشبيهه آخر، «ألقوا الجثث التى جفت كالخشب، فى الوسط وأربعة أشخاص، أمسكوا بجوانبها الأربعة بشق الأنف وانتشروا وساروا باتجاه الخلف. لم يكن هناك خيار آخر.» (المصدر نفسه: ١١٧)

وذكر الدكتور فتوحى فى كتابه "بلاغة التصوير" أن «الدهشة والاستغراب من عالم الفن بالنسبة للفرد، هى المصدر الرئيس للشعور بالجمال ومصدر السعادة والإثارة.» (فتوحى، ٣١٨: ١٣٩٧) لكن فى هذه الرواية، يتحدث دهقان عن بشاعة الحرب، ويتحدث عن واقع يمكن رؤيته فى الجبهة حسب قوله. فإن الصور الخيالية كالتشبيه فى هذه الرواية، تجسد صوراً غروتيسكياً؛ لا تصور الجمال، لكنها تسلط الإحساس بالألم والحزن، محاولة لنقل مفهوم الموت إلى القارئ بنبرة فكاهية.

## النتيجة

رواية "التجول فى أرض الغرباء" التى كتبها أحمد دهقان، على عكس العديد من الأعمال السابقة التى تحتوى على شجاعة وبسالة أبطال الدفاع المقدس، فهى تصور الحرب من منظور مختلف. القصة والحوادث هى حقائق الحرب التى لا يمكن إنكارها والتى تحتوى على مواضيع حاسمة لهذا الحدث المهم فى البلاد. وظروف مضطربة غير مستقرة ناتجة عن عملية جرت فى أراضى العدو، وقد فُسرَت فيما بعد على أنها تجوال

وبلا جدوى.

فى هذه الرواية، لا يريد الكاتب أن يقدم صورة نمطية من الحرب للقارئ؛ بدلا من ذلك، ينوى تقديم صورة حقيقية للحرب وجيشها من منظور إنسانى. شخصية الفتى الأسمر الملىء بالروحانية ولكن ليس الروحانية التى نواجهها ونكررها كل يوم. لا يريد خالق الرواية أن يتعامل مع الشخصيات والأصناف فى شكلها المشترك. يريد دهقان أن ينبئه الأجيال التى لم تر الحرب بوجود طبقات مختلفة من الأفراد فى الحرب للدفاع عن الوطن. الطبقات التى ورد ذكرها فى العديد من الروايات الأخرى؛ لكن هنا يتم التعامل معها بشكل مختلف وبعيداً عن الصور النمطية الشائعة فى الروايات الأخرى.

الغروتيسك نوع من النظرة إلى الواقع المحيط بنا؛ الذى من خلاله ينقل الكاتب رسالته من منظور آخر وتتألف من مشاعر غير متجانسة؛ يخلق عدم التجانس هذا، شعوراً متضارباً وغريباً فى نفسية الشخص كما يخلق شعوراً بالدهشة والارتباك بين الضحك والكراهية، وهو ما يمكن اعتباره مفهوماً عاطفياً جديداً. يصور دهقان المشاهد المأساوية التى يعبر عنها بالسواد والأجواء المرعبة للمنطقة بموقف غروتيسكى. وهو لم يستخدم الملامح الغروتيسكية كلها بما فى ذلك التشوهات التى تظهر عادة فى الجسم، فلم نلاحظها فى عمله هذا قط، لكن الاختلال والازدواجية النفسية يمكن ملاحظتها فى شخصية عبد الله وفى أجواء العملية.

كما أن السخرية والفكاهة فى حوارات الشخصيات التى جرت فى أجواء مرعبة تمثلت فى موت الشخصيات من لحظة إلى أخرى، استخدمها الكاتب وجعلها موضوعاً لعمله، ليصور بُعداً مختلفاً للعملية بطريقة ساخرة وناقدة إلى جانب رسمه الابتسامة على شفاه المتلقى. فهو يخلط السخرية مع الرعب مستخدماً التشبيهات نتيجة معرفة الطبيعة المأساوية للحرب. دهقان كاتب ملتزم فهو ينظم المحتوى حسب التزامه ككاتب فى مجال الدفاع المقدس. من خلال ربطه الغروتيسك بالواقعية، ترك عالم الخيال والأناقة ودخل عالم الفن الواقعى.

كما يمكن القول إن عناصر الرواية، أى الفضاء (الأجواء) ونبرة الحوارات، لعبت الدور الأهم فى خلق الملامح الغروتيسكية فى هذه الرواية. إن الجو المرعب للحرب

- المصحوب بقصف العدو من حين لآخر يشكل أساس الرواية الرئيس، وقد خلق دهقان، بمساعدة الفضاء والجو الذي خلقتة عناصر أخرى، قصة غروتيسكية من دون أن يخطط له من قبل. دهقان مجاهد وكاتب متمرس في مجال الجهاد والدفاع. على الرغم من أن رأيه في هذه الرواية خارج عن النسق الشائع في مجال الجهاد والدفاع، إلا أنه لا يمكن استبعاده بأي شكل من الأشكال من دائرة كتاب الدفاع المقدس، لكن يجب أن يقال بنظرة لا تخلو من النقد، لقد نظر إلى بعض الأحداث من خلال النظرة الغروتيسكية والفكاهة - والتي كان من الممكن وضعها في هذا الإطار. وهو يعدّ من كتاب الدفاع المقدس حيث كان حاضراً في الساحة، لذلك فهو ينوي بالتأكيد تسجيل الأحداث ونقلها لقارئ اليوم الذي هو خارج عن السياق الخاص بمجال الدفاع المقدس، مع التعبير عن وجهة نظره النقدية بأساليب فنية مختلفة.

## المصادر والمراجع

### الكتب

#### القرآن الكريم

- آدامز، جيمز لوتر. ويلسون يتس. (١٣٩٤ش). غروتسك در هنر وادبيات (الغروتيسك في الفن والأدب). الترجمة: آتوسا راستي. ط ٢. طهران: قطره للنشر.
- طومسون، فيليب. (١٣٦٩ش). غروتسك در ادبيات (الغروتيسك في الأدب). الترجمة: غلامرضا امامي. ط ١. طهران: شيوا للنشر.
- \_\_\_\_\_ (١٣٩٠ش). غروتسك. (الغروتيسك). ترجمة: فرزانه طاهري. ط ١. طهران: نشر مركز داد، سيما. (١٣٩٢ش). فرهنگ اصطلاحات ادبي (قاموس المصطلحات الأدبية). ط ٦. طهران: مرواريد.
- دهقان، أحمد. (١٣٩٣ش). پرسه در خاک غریبه (التجول في أرض الغرباء). ط ٢. طهران: نیستان للنشر.
- فتوحی رودمجنی، محمود. (١٣٩٧ش). بلاغت تصویر (بلاغة التصوير). ط ٥. طهران: سخن للنشر.
- فرهنگ دهخدا (قاموس دهخدا).

### المقالات

- تسليم جهرمي، فاطمه و يحيى طالبان. (١٣٩٠ش). «تلفيق احساسات ناهمگون و متضاد گروتسك در طنز و مطايه» (الجمع بين المشاعر غير المتجانسة والمضادة للغروتيسك في الفكاهة والمزاح). مجله الفنون الأدبية في أصفهان. السنة الثالثة. العدد ١. (التسلسل ٤). صص ٢٠-١

- ثابت قدم، خسرو. (۱۳۸۳ش). «گروتسک در نثر ناباکوف» (الغروتیسک فی نثر نابوکوف). مجله سمرقند. العدد ۳ و ۴. صص ۲۱۰-۲۰۱
- جزینی، جواد. (۱۳۷۰ش). «ناهمگونی احساس - نگاه‌ی به کتاب گروتسک در ادبیات نوشتة فلیپ تامسون» (عدم التجانس فی الشعور - نظرة علی کتاب الغروتیسک فی الأدب بقلم فلیپ طومسون). سوره ویژه ادبیات داستانی. العدد ۱۲. صص ۱۰۵-۱۰۲
- راستی یگانه، فاطمه. (۱۳۸۸ش). «جستاری در گروتسک» (دراسة فی الغروتیسک). فصلنامه هنری صحنه (فصلیه صحنه الفنیة)، العدد ۶۹. صص ۱۱۸-۱۱۶
- شربتدار، کیوان و شهره انصاری. (۱۳۹۱ش). «گروتسک و ادبیات داستانی، بررسی مفهوم گروتسک و کاوش مصداق‌های آن در داستان‌های کوتاه شهریار مندی‌پور» (الأدب الغروتیسکی والأدب الروائی، دراسة دلالة الغروتیسک وتحلیل ملامحه فی القصص القصیره لشهریار مندی‌پور). مجله ادبیات پارس‌ی معاصر (مجله الأدب الفارسی المعاصر). السنه الثانیة. ش ۲. صص ۱۲۱-۱۰۵
- صفایی، علی و حسین ادهمی. (۱۳۹۱ش). «بررسی و تحلیل مؤلفه‌های گروتسک در داستان بچه‌های قالیباف خانه اثر هوشنگ مرادی کرمانی» (دراسة وتحلیل العناصر الغروتیسکیة فی قصة أطفال حیاکة السجاد هوشنگ مرادی کرمانی). همایش پژوهش‌های ادبی (ملتقى الدراسات الأدبیة). جامعة الشهيد بهشتی. الدوریه ۶.
- فلاح قهرودی، غلامعلی وزهرا صابری تبریزی. (۱۳۸۹ش). «نقیضه و پارودی» (النقیضة والمحاكاة الساخرة). پژوهش‌های زبان و ادبیات فارسی دانشگاه اصفهان (دراسات اللغة الفارسیة وآدابها فی جامعة اصفهان). الدوریه الجدیة، العدد ۴. صص ۳۲-۱۷
- محمدی فشارکی، محسن و فضل‌اله خدادادی و یوسف افشارنیا. (۱۳۹۲ش). «بررسی و تحلیل عناصر ساختاری گروتسک در برخی داستان‌های فارسی و خارجی» (دراسة وتحلیل عناصر بنية الغروتیسک فی بعض القصص الفارسیة والأجنبیة). مجله مطالعات و تحقیقات ادبی (مجله الدراسات والبحوث الأدبیة). العدد ۱۷. صص ۱۰۹-۸۹